سينما

«الـ23» لراني بيطار

توثيق جديد للحظة لبنانية «ثائرة»

يُصوِّر اللبناني راني بيطار أحاديث لبنانيين ولبنانيات يروون تفاصيل وأحاسيس ووقائع متعلّقة كلّها بما جرى في 23 أكتوبر 2019 في النبطية

نديم جرجوره

شابات وشبابٌ وسيدات يُشكّلون معاً إحدى الصُور الواقعية عن حدثٍ لبنانيّ، مُرتبط بصدام أفرادٍ مع سلطاتٍ قامعة. في 17 أكتوبر/ تشرين الأول 2019، يحدث انقلابٌ في نظرة لبنانيين ولبنانيات إلى وقائع عيشٍ في بلدٍ، يزداد انهياراً يوماً تلو آخر. يقولون في الشارع كلاماً يعكس شيئاً من قهر، ومن رغبةٍ في انعتاق من بؤسٍ وألم وخوف وقلق. يتحرّكون عفوياً وسلمياً، لكنّ المواجهة عنيفة. النظام اللبناني الحاكم ومليشياته أقوى من دولةٍ، يحضر اسمها من غيابٍ يؤكّد (الغياب) انعدام وجودها.

بعد 6 أيام، تعيش النبطية (جنوب لبنان) اختباراً، تظهر ملامحه على وجوه شابّة وأقوالٍ تطرح، باختصار، أسئلة بلدٍ واجتماعٍ وناس. الثنائي الشيعي («حزب الله» و«حركة أمل») يُسيطر على المدينة، الغنية بتنوّع يُثري تاريخاً من نضال وطني، وذاكرة مليئة بأفعال ثقافية وعلمية وتربوية واجتماعية. هذا كلّه مُعطّل، فالبقاء خارج الطائفة . القبيلة ممنوع، وكلّ خارج على الطائفة . القبيلة ملعون ومُطارَد ومهمَّش ومسحوق، وهذه حال بلدٍ خاضع لنظام طائفي . قبائلي، له قواعده ومسالكه وثقافته وأسلحته.

«الـ23» وثائقيّ جديد للّبناني راني بيطار (معروض على «يوتيوب»)، يلتقط ما بعد ذاك اليوم العصيب، مستعيداً بعض تفاصيله قولاً وتعبيراً وتسجيلات. يلتقي بيطار شابات وشباباً وسيّدات، لتوثيق حكايةٍ يعيشها أناسٌ يريدون وطناً لا مزرعة. الحكاية معروفة. مدنٌ لبنانية كثيرة تمارس ما يُمارسه أنصار طائفة . قبيلة بحقّ خارجين عليها، رغم اختلافٍ واضح في حجم بطشٍ عنفي مباشر على مدنيين، يتظاهرون سلمياً ضد فسادٍ ونهبٍ وتسلّط وإقصاء. راني بيطار معنيّ بتسجيل انفعالات ووقائع وتأمّلات، يقولها هؤلاء بنبرات مختلفة، تحمل خيبة وقهراً، وإنْ تشي . موارباً . ببقايا حلم.

توثيقٌ يمزج تسجيلاتٍ بأقوالٍ، ويُمرِّر لقطات قليلة تبدو كأنّها إيحاءاتٌ وترميز، من دون إمعانٍ في تضمين «الـ23» ما يُناقض واقعيّته وحساسيّته. توثيقٌ (38 دقيقة، 2020) يؤرشف لحظات وما بعدها، لتنبيهٍ مهتمّين إلى تفاصيل تكون جزءاً من عيش، أو بعض تفكير، أو قليلاً من ذاتٍ مُصابةٍ بصدمة، ناتجةٍ من أفعال يمارسها أقارب أو معارف. تقول سيّدة إنّ ميلاً كبيراً لها إلى مقاومةٍ، يتبدّل بعد 23 أكتوبر/ تشرين الأول 2019، فذاك اليوم يقلِبُ مقاييس ويُغيّر مشاعر. الحراك مدنيّ سلميّ، لكنّ ردّ الفعل الطائفي . القبائلي وحشيّ وقاس، وبعض صانعي ردّ الفعل أقارب وأحبّة، يُصبحون وحوشاً من أجل أمير طائفة وسيّد قبيلة. مقاومة (لن تذكر السيّدة مقاومة ماذا أو مَن، فتعبير مقاومة كافٍ لفهم وجهة السلاح «المُقاوِم»، رغم أسئلة كثيرة مطروحة حوله، سابقاً والآن) تُفرِّغ أشدّ غضب بحقّ «أبنائها»، غير المنصاعين لرغبات طائفتها . قبيلتها.

> توثيق يستعين بتقنيات بسيطة لعدم إلغاء وقائع وحقائق

حماسة اختيار الشارع لقول سلمي تُصبح خيبة إزاء ممارساتٍ عنيفة. طلاّب وطالبات يريدون خلاصاً من بلدٍ مُصاب بوباء أشدّ فتكاً من كلّ وباء يُصيب جسداً. سيّدات يجدن صعوبة في استكمال حياةٍ معطوبة، إذْ كنّ «قدوة» لشابات وشباب، وعليهنّ المحافظة على صورة كهذه، لكنّ الخراب عظيم، والانكسار حادّ، والألم غير قابل لأيّ وصف. «الـ23» مكتفٍ بما لديه من مادّة مُسجّلة، ومن لقاءات حيّة مع أفرادٍ، «جريمتهم» أنّهم أبرياء، وأنّهم يريدون أبسط حقوقٍ مسلوبة، ويطلبون الأقلّ لعيشٍ هادئ.

توثيق راني بيطار يستعين بتقنيات بسيطة للحؤول دون إلغاء وقائع وحقائق. لا ادّعاء بصرياً، ولا فذلكات سينمائية، ولا تنظير وثائقياً. «الـ23» يقول، بالقليل، مسائل نابضة في يوميات لبنانيين ولبنانيات، رغم أنّ الأفق مسدود، والآنيّ مغلق على اختناق وتمزّق وخيبة. بساطة التوثيق أعمق من أنْ تتلاعب، سينمائياً، بجماليات وفنيات؛ وبساطة التساؤلات المطروحة على طلاّب وطالبات وسيّدات أهمّ من كلّ تحليل وتأمّل وتفكير، رغم أهميّة كلّ تحليل وتأمّل وتفكير، مطلوبة كلّها في لحظات مصيرية كهذه، وإنْ يُعلِنُ الغدُ مزيداً من خرابٍ وفوضى وعنف.

يريد «الـ23» (تقول سيّدة إنّ المعادلة متغيّرة من «ما بعد 17 تشرين ليس كما قبله» إلى «ما بعد 23 تشرين ليس كما قبله») سخريةً في مقاربته سلوكاً «رسمياً»، يتمثّل بتشبيح مليشياوي تابع للثنائيّ الشيعي، وببلدية النبطية، التي تُصدر بياناً يُغيِّب حقائق مُصوّرة ومُسجّلة بهواتف ذكية، ويناقض تفاصيل يرويها صانعو اللحظة ومشاركون فيها. قبل 10 دقائق على انتهاء الفيلم (صورة: جاك حدّاد وسليم ناصيف، صوت: شربل طوق، بوست برودكشن: سليم هبر، إنتاج: راني بيطار)، يُعرضُ النصّ الكامل لبيان البلدية، إذْ يكتفي راني بيطار بنشره كاملاً بعد كلام وصُور وحكايات، وانفعالاتٍ منبثقة منْ أعماق قلب يتألم وروح خائبة. النشر وحده، من دون تعليق صوتي ومع موسيقى خافتة جداً تنتهي قبل نهاية البيان، كافٍ لكشف الهوّة القائمة بين متسلّطين ومواطنين/ مواطنات، ولتبيان حجم التزوير والافتراء والادّعاء للأوّلين، بعد إتاحة مساحة بصرية واسعة لمواطنين/ مواطنات من النبطية، لقول تجربة المواجهة وسلوكها وتفاصيل عدّة منها.

تظاهرة لأنصار «حزب الله» في محيط النبطية (25/ 10/ 2019): كلّ خارج ملعون ومنبوذ ومضروب (سام تارلينغ/ Getty)

المشهد السينمائي الجزائري الحالي

مشاريع معطلة وأفلام تشارك في مهرجانات

عبد الكريم قادري

أرهَقَت السينما الجزائرية، في عهد عبد العزيز بوتفليقة، خزينة وزارة الثّقافة، نظراً إلى الأغلفة المالية الكبيرة التي رُصدت لها. في المقابل، لم تنعكس أيّ قيمة فنية على معظم تلك الأفلام، حتّى أنّ هناك أعمالاً استهلكت أموالاً كثيرة، لكنّها لم ترَ النور إلى اليوم. هذا كلّه بتواطؤ مفضوح من مسؤولين فاسدين ونافذين في النظام وخارجه، بعد أنْ جعلوا من السينما وسيلة لتبييض الأموال، وتكميم الأفواه، وتهريب العملة الصعبة، والتربّح السريع. بعد «ثورة 22 فبراير» (2019) الجزائرية، زال رأس هذا النظام وعدد من رموزه. لكنّ النظام الجديد، وإنْ كانت لديه مشاكل كبيرة مع المعارضة وأقطاب الحراك، أظهر نيّة لخدمة صناعة السينما، مُستحدثاً منصباً وزارياً متمثّلاً بـ«كتابة الدولة للصناعة السينماتوغرافية»، ومُكلّفاً الممثل يوسف سحيري برئاستها. سوء الحظ حصل بالتزامن بين هذا التغيير التنظيمي مع الانخفاض الحادّ في سعر البترول وانتشار «كورونا»، اللذين أثّرا، بشكل كبير، على الفعل السينمائي وحركيّته، رغم أنّ الجمهور يكاد لا يشعر بالتأثير، فحركة السينما في الجزائر بطيئة جداً، لأنّ معظم قاعات السينما مغلقة، حتّى قبل تفشّي الوباء، باستثناء قاعات الـ«سينماتيك»، التي تعرض أفلاماً قديمة، تنفيذاً لبرامج مُتعلّقة بمناسبات وظروف معيّنة. بالإضافة إلى ذلك، ورثت «وزارة الثقافة» و«كتابة الدولة للصناعة السينماتوغرافية» ملفات ملغّمة، بإشراف الوزيرين السابقين خليدة تومي وعزّ الدين ميهوبي، كملف فيلم «العربي بن مهيدي»، الذي رفضت وزارتا المجاهدين والثقافة التصريح بعرضه، بحجّة أنّ بعض شخصية. حتّى بعد ذهاب النظام القديم، الذي كان يعمل بطريقة المافيا، لا يزال الفيلم حبيس الأدراج إلى اليوم، ولا يزال المُشاهد ينتظر مُشاهدته، بحكم أنّ العمل استهلك أموالاً كثيرة من أموال الخزينة العامة.

هذا الفيلم ليس الوحيد الذي طاولته يد ميهوبي، الذي كان يتدخّل في كلّ ما له علاقة بالأفلام المُنتجة والمُقدّمة في عهده. أكثر من هذا، ذُكر اسمه حالياً في ملفّات سينمائية عدّة، تحوم حولها شبهات فساد كبيرة، كـ«بن باديس» للسوري باسل الخطيب، و«أحمد باي» للإيراني جمال شورجه، الذي لم يعرض بعد، والذي نُفّذت إنتاجه مؤسّسة سميرة حاج جيلاني، المتّهمة بقضايا فساد كبيرة، وتقبع حالياً في السجن. وسبق لهذه الأخيرة أن عملت في المكتب الإعلامي للوزير ميهوبي، المرشّح السابق للرئاسيات، والمذكور اسمه في قضايا سينمائية أخرى، أبرزها تدخّله المباشر في عمل لجنة قراءة السيناريو في «وزارة الثقافة»، والذي أقال أعضاءها مباشرة بعد رفضهم دعم مشروع فيلم «أخوات» ليمينة بن غيغي، المخرجة والوزيرة الفرنسية السابقة، الجزائرية الأصل؛ كما أقال شهيناز محمدي، مديرة «المركز الجزائري لتطوير السينما»، التي رفضت هي أيضاً تحويل مبلغ مالي للمخرجة نفسها. ونجح بطريقة أو بأخرى في تحويل حوالي مليون دولار لفيلم بن غيغي، المُقرّبة من آل بوتفليقة، لتجثم هذه الأحاديث على النقاش الدائر حول السينما الجزائرية حالياً، فالنقاش يتجدّد دورياً، حتّى يملأ الفراغ، ويُحرّك مياه السينما الراكدة.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

قمر اينوز في «مهرجان فينيسيا 2020»: مُشاركة تُحرِّك جمودا (ستيفانيا داليشاندرو/ Getty)

> أموال كثيرة مدفوعة لكنّ النتيجة السينمائية شبه معدومة

مَشاهده غير موجودة في السيناريو المتّفق عليه. هذا الأمر رفضه المخرج بشير درايسن، المتمسّك بمبدأ حرية التعبير، وعدم الخضوع لإملاءات السلطة الرسمية، التي تريد تاريخاً مكتوباً ومُفصّلاً على مقاسها. كما اتّهم درايسن سابقاً الوزير ميهوبي (الذي سُحب منه جواز السفر حالياً تمهيداً لمحاكمته) بالوقوف خلف منع عرض الفيلم، لأسباب

أفلام جديدة

■ Charter فيلم سويدي لأماندا كرنِل (الصورة)، تمثيل آن دال تورب وسْفرِير غودناسن وإيفا مِلندر: بعد تلقّيها اتصالاً هاتفياً من ابنها، يُخبرها فيه أنّه غير راغب في البقاء «هنا»، تغادر أليس مدينتها فوراً باتّجاه الشمال، لفهم ما يجري، ولإنقاذ ابنها وشقيقته من أزمة يعيشانها في كنف أب حرمهما من أمّهما، بدعم من المجتمع الصغير الذي ينتمي إليه. «تخطفهما» أليس، وتبدأ معهما رحلة محفوفة بمخاطر وتحدّيات. اختير الفيلم لتمثيل السويد في المرحلة الأولى من مسابقة «أوسكار» أفضل فيلم أجنبي 2021.

■ Exil للصربي فيسار مورينا، تمثيل ساندرا هولّر (الصورة) ورايْنر بوك: يتعرّض كْزافر وعائلته لمضايقات: رسائل عبر البريد الإلكتروني، وفأر ميت على باب المنزل، وإزعاج في عمله في الصيدلية. لا أحد يُصدّقه، هو القادم إلى ألمانيا من كوسوفو، والمندمج في المجتمع الألماني: «في فيلمه هذا، يُفكّك مورينا الآثار النفسية للإقصاء الاجتماعي، عارضاً إياها على أنّها تفاعل بين الانتماء والاغتراب»، بحسب تعليقات نقدية.

■ Hope للنرويجية ماريا سودال (الصورة): قبل يوم واحد على الاحتفال بعيد ميلادها الـ44، تكتشف أنجا أنّها مُصابة بمرض سرطاني سيُمهلها 3 أشهر فقط قبل الانقضاض عليها نهائياً. متزوجة من توماس (59 عاماً)، عاشت معه حياة عادية، وأنجبت منه أولاداً عديدين، ربّتهم مع أبنائه وبناته من زواج سابق. كلّ شيء سينهار في تلك اللحظة، وسيكتشفان معاً أنّهما أهملا كثيراً الحبّ الذي بينهما.

■ The Flood Won't Come للأرميني مَارات سارغْسيان، تمثيل فالنتيناس ماسالْسكيس (الصورة): بعد أعوام مديدة من الخدمة العسكرية المُشرِّفة له في بلدان مختلفة، يجد الكولونيل نفسه في ورطة كبيرة، مع اندلاع حرب أهلية في بلده، ما يدفعه إلى المشاركة فيها إلى جانب طرفٍ ضد آخر. يعاني تمزّقاً ذاتياً وروحياً بين أولوية إظهار مهاراته العسكرية، ورفضه الداخلي الكبير لتلك الحرب.

■ Never Gonna Snow Again للبولندية مالغوژاتا شوموفْسكا (الصورة) إخراجاً وتمثيلاً: ذات صباح، يصل رجلٌ غامض إلى مدينة في أوروبا الشرقية، ويحصل على إقامة بفضل مهاراته فوق الطبيعية. يمارس التدليك في بيئة ثرية، تواجه تبدّلات شتّى في يومياتها الروتينية.